ترجمة خاصة
private translation

الوعد الكاذب لاتفاقيات إبراهيم

شهد العام الماضي تحولا جوهريا في العلاقات العربية الإسرائيلية. جاءت أولاً اتفاقيات إبراهيم ، التي تم توقيعها وسط ضجة كبيرة في البيت الأبيض في ١٥ سبتمبر ٢٠٢٠. وفي اتفاقيات منفصلة ، تعهدت الإمارات العربية المتحدة والبحرين بتطبيع العلاقات مع إسرائيل. وحذا المغرب والسودان حذوهما بعد أسابيع.

في إشارة إلى نجاحهم في التفاوض على الاتفاقات التاريخية ، أشار بعض المسؤولين من إدارة الرئيس الأمريكي آنذاك دونالد ترامب إلى أن التطبيع لم يعد مرتبطًا بوضع الفلسطينيين وهي قضية جعلت اندماج إسرائيل العميق في المنطقة مستحيلًا لعقود. تتطلب صفقات العام الماضي أن تمتنع إسرائيل عن الضم القانوني لأراضي إضافية في الضفة الغربية.

لكن الإمارات والموقعين الآخرين لم يطالبوا بمزيد من التنازلات بعيدة المدى ، مثل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي أو إقامة دولة فلسطينية قبل التوقيع.

تقدم سريعًا حتى مايو ٢٠٢١ ، عندما قدم العنف في غزة الاختبار الحقيقي الأول لما إذا كان يمكن فصل عملية التطبيع هذه عن القضية الفلسطينية. بعد أسابيع من التوترات المتصاعدة ، مدفوعة بالتهديد بالتشريد القسري للفلسطينيين في القدس واستخدام ضباط الشرطة الإسرائيلية للقوة ضد المصلين المسلمين في المسجد الأقصى ، أطلقت حماس صواريخ على إسرائيل من غزة. وقصفت إسرائيل بدورها غزة وأسقطت المباني السكنية والمكتبية. بحلول الوقت الذي انتهى فيه القتال ، قُتل ٢٦٠ فلسطينيًا و ١٣ شخصًا في إسرائيل. نزح عشرات الآلاف من الفلسطينيين من منازلهم في غزة. ملأت صور معاناة الفلسطينيين موجات الأثير ، وهي دليل على احتلال إسرائيلي لا يزال بطبيعته عنيفًا وغير مستقر.

ترجمة خاصة
private translation

وانتقد مسؤولون إماراتيون معاملة إسرائيل للفلسطينيين في ذلك الوقت ، لكن الإمارات لم تقطع العلاقات مع إسرائيل أو تجمد الانفتاح الدبلوماسي بين البلدين. كانت الرسالة واضحة: المواجهات الإسرائيلية الفلسطينية لن تؤخر أو تعرقل عملية التطبيع الإماراتي الإسرائيلي. في يونيو ، أصبح وزير الخارجية يائير لابيد أول وزير إسرائيلي يقوم بزيارة رسمية إلى الإمارات العربية المتحدة ، حيث حضر افتتاح السفارة الإسرائيلية في أبو ظبي والقنصلية في دبي. افتتحت الإمارات سفارتها في تل أبيب بعد فترة وجيزة. وفي يوليو / تموز ، وقع البلدان أولى اتفاقيات التعاون الزراعي بينهما. في الوقت نفسه ، ظلت العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية متوترة ، على الرغم من جهود مصر لتهدئة الموقف من خلال محادثات غير مباشرة مع حماس والحكومة الإسرائيلية. باختصار ، العلاقات العربية الإسرائيلية والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني يسيران الآن في مسارات متباينة بشدة. لم تترك الدبلوماسية الإقليمية الوضع في فلسطين أقرب إلى حل سلمي مما كان عليه قبل بدء التطبيع.

خارج الترتيب

لعقود من الزمان ، كان مصير فلسطين قضية بارزة - إن لم تكن القضية المركزية - في السياسة العربية. في عام ١٩٧٤ ، أعلنت جامعة الدول العربية أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. أرادت إسرائيل الاعتراف والتطبيع مع دول المنطقة ، مما أعطى الدول العربية ورقة مساومة في الجهود المبذولة لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

كان التسلسل مهمًا: مخاطبة فلسطين أولاً ، ثم متابعة المشاركة الاقتصادية والدبلوماسية مع إسرائيل. بدأت مفاوضات محدودة متعددة الأطراف في التسعينيات مع عمليتي مدريد وأوسلو.

ترجمة خاصة
private translation

ولكن لم تتبلور الخطوط العريضة لصفقة أكثر شمولاً حتى مبادرة السلام العربية لعام ٢٠٠٢. بقيادة المملكة العربية السعودية ووافقت عليه جامعة الدول العربية بأكملها ، دعا هذا الاقتراح في جوهره إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة مقابل إقامة الدول العربية "علاقات طبيعية مع إسرائيل".

ومع ذلك ، وبينما دفعوا باتجاه صفقة لمعالجة المشكلة الإسرائيلية الفلسطينية ، سعت حكومات الدول العربية أيضًا إلى تحقيق مصالحها الوطنية - حتى لو جعلها ذلك تتعارض مع سياسة منظمة التحرير الفلسطينية أو المصالح الفلسطينية. ظهرت تشققات في الجبهة العربية الموحدة. كان كسر الصفوف في مصر هو الأكثر أهمية: فقد سافر الرئيس أنور السادات لأول مرة إلى القدس في عام ١٩٧٧ ثم ذهب لتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد في عام ١٩٧٨ ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في عام ١٩٧٩. وقد فتح هذا الباب أمام علاقات اقتصادية ثنائية محدودة ، لا سيما في قطاع الطاقة. لكن في المواجهة الإقليمية مع إسرائيل ، أخرجت الاتفاقات الجيش المصري ، الذي كان في السابق محور القوات العربية الموحدة من المعادلة.

ومع ذلك ، فقد حرص السادات على إيجاد ورقة توت معقولة لقراره الواضح بإعطاء الأولوية لرغبة مصر في السلام على حل فلسطين. بعد توقيع معاهدة السلام ، انضم إلى المحادثات التي توسطت فيها الولايات المتحدة مع إسرائيل بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني. كانت المحادثات قصيرة الأجل ، ونبذت مصر لعدة سنوات من قبل جيرانها العرب بسبب تعاملاتها مع إسرائيل.

بحلول عام ٢٠٢٠ ، لم تجد حكومات البحرين والمغرب والسودان والإمارات العربية المتحدة حاجة لإيجاد غطاء سياسي لاتفاقياتها الخاصة مع إسرائيل.

وفيما يتعلق بقضية فلسطين ، لم يحصلوا على الكثير من إسرائيل مقابل التطبيع – لا تعهد بالتفاوض مع القادة الفلسطينيين ، ولا التزام بحقوق الفلسطينيين أو الاستقلال ، ولا شيء بشأن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي. وعدت إسرائيل بضبط النفس بشكل مؤقت فقط في خطة ، بدعم من إدارة ترامب ، لإضفاء الطابع الرسمي على ضمها الفعلي لأجزاء من الضفة الغربية.

وهكذا كانت اتفاقيات إبراهيم بمثابة رفض للمقايضة المركزية المضمنة في مبادرة السلام العربية. لم يكن هذا الاقتراح بحد ذاته يمضي قدمًا – لم تتبناه إسرائيل أبدًا – لكن الآن الإمارات العربية المتحدة ودول أخرى في المنطقة رفضت التسلسل في جوهره. نهجهم الجديد لم يحل الجانب الفلسطيني من المشكلة. على الرغم من أن إسرائيل والإمارات العربية المتحدة قد عززتا علاقاتهما الحكومية الدولية والعلاقات بين الكيانات التجارية والتعليمية ، إلا أن القضية الإسرائيلية الفلسطينية راكدة. إذا تُركت الحركة القومية دون معالجة ، ولا سيما تلك التي تتمتع باعتراف دولي قوي بالحركة الفلسطينية ، فإنها لن تتلاشى ببساطة.

التطبيع على الرغم من الاحتلال

إذا كان هناك أي أمل في أن يؤدي التطبيع إلى تلطيف الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ، فإن أحداث أبريل ومايو من هذا العام أظهرت خلاف ذلك. في بداية شهر رمضان ، منعت الشرطة الإسرائيلية الفلسطينيين من التجمع عند باب العامود في البلدة القديمة بالقدس. في غضون ذلك ، تحركت جهود إسرائيلية قانونية وسياسية طويلة الأمد لإخراج الفلسطينيين قسراً من منازلهم في حي الشيخ جراح بالقدس نحو نتيجة لصالح المستوطنين الإسرائيليين، حاولت قوات الأمن الإسرائيلية قمع الاحتجاجات الفلسطينية التي تلت ذلك.

ترجمة خاصة
private translation

دخل الضباط المسجد الأقصى وأطلقوا الغاز المسيل للدموع والقنابل الصوتية على المصلين الفلسطينيين. داخل حدود إسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ، اندلعت اشتباكات عنيفة بين الفلسطينيين واليهود المواطنين الإسرائيليين في الشوارع.

وأظهرت تلك الحوادث مدى المسافة المتبقية للقرار. أولاً ، كل جزء من جغرافية فلسطين التاريخية يلعب دوره. إن التهجير الإسرائيلي للفلسطينيين ليس مجرد احتمال في الضفة الغربية وغزة. في القدس وداخل حدود ما قبل عام ١٩٦٧ أيضًا ، يستمر السعي لتحقيق الميزة الديموغرافية والإقليمية لليهود. مع مثل هذه الجهود الجارية ، فإن تعهد إسرائيل المؤقت بعدم ضم أجزاء من الضفة الغربية هو أمر مخيب للآمال.

أظهرت الاضطرابات أيضًا أن فلسطين لن تذهب بهدوء. إن الاحتجاجات والقمع في القدس ، وإلغاء الرئيس الفلسطيني محمود عباس للانتخابات ، وهجوم حماس ، وحملة القصف الجوي الإسرائيلي ، كلها تثبت أن هذه القضية لا تزال شائعا. وهي لا تزال تحتفظ بصدى دولي: نظمت احتجاجات لدعم الفلسطينيين في جميع أنحاء الشرق الأوسط ، بما في ذلك في لبنان والأردن ، وفي أجزاء أخرى من العالم. انتشرت صور القمع الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية على نطاق واسع عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، مما أثار تعبيرات صاخبة عن التضامن. من الواضح أن اتفاقيات التطبيع والقمم الاقتصادية ليست طريقًا للقوى الإقليمية لتقليل القضية الفلسطينية.

من خلال كل ذلك ، لم يوجه الموقعون على اتفاقيات إبراهيم سوى انتقادات معتدلة. خلال الاحتجاجات الأولى في الشيخ جراح ، دعا بيان صادر عن وزارة الخارجية الإماراتية إسرائيل إلى "تحمل المسؤولية تجاه التهدئة و [إنهاء] جميع الاعتداءات والممارسات التي تديم التوتر والعداء".

ترجمة خاصة
private translation

مع اشتداد حدة الاشتباكات ، ردد وزير الدولة الإماراتي خليفة شاهين المرر الدعوة إلى وقف التصعيد وضبط النفس و "الحفاظ على الهوية التاريخية للقدس المحتلة". أوقفت الخطوط الجوية الإماراتية الرحلات الجوية إلى إسرائيل مؤقتًا.

وانضمت دول أخرى: ناشدت البحرين إسرائيل لوقف "الاستفزازات ضد أهل القدس". وأعرب المغرب عن "قلقه العميق". وصرح رئيس الحكومة الانتقالية السودانية أن "ما يحدث في غزة ضد المدنيين العزل أمر مؤسف" لكنه أكد أن التطبيع والدفع نحو دولة فلسطينية يجب أن يعامل على أنهما أمران منفصلان.

إن حالة الإمارات العربية المتحدة كاشفة بشكل خاص - لا سيما بالنظر إلى ما لم يحدث. لم يتفوق القلق على الفلسطينيين على مصلحة الإمارات الأساسية في إقامة علاقات أقوى مع إسرائيل. بالنسبة للإماراتيين ، تمثل هذه العلاقة ثقلًا موازنًا للنفوذ الإيراني ، وميسرًا للوصول إلى الأسلحة الأمريكية ، ومصدرًا بديلًا للأمن في حالة إنهاء الولايات المتحدة لوجودها الإقليمي ، ونعمة اقتصادية محتملة. عندما اندلعت الاشتباكات في القدس وسقطت القنابل على غزة ، لم تقطع الإمارات علاقاتها مع إسرائيل ولم تقدم إدانة شديدة. ولم تحاول التراجع عن اتفاقات إبراهيم أو إعادة تقويم علاقتها مع إسرائيل. بدلاً من ذلك ، استمرت الشراكة الإماراتية الإسرائيلية في التطور. في أواخر مايو وأوائل يونيو - بعد أيام فقط من انتهاء الحرب الإسرائيلية الفلسطينية بوقف إطلاق النار - وقعت إسرائيل والإمارات العربية المتحدة معاهدة ضريبية ، واستضافت دبي منتدى استثمار عالمي مع رعاة إسرائيليين ومتحدثين إسرائيليين رفيعي المستوى ، ومحرقة افتتح المعرض في دبي. عززت المكاتب الدبلوماسية واتفاقيات التعاون الجديدة العلاقات الثنائية بشكل أكبر خلال الصيف.

ترجمة خاصة
private translation

الطبيعي الجديد

كان التعايش بين التطبيع العربي الإسرائيلي الرسمي والاحتلال الإسرائيلي يبدو غير مرجح في يوم من الأيام، لكنه أصبح الآن حقيقة واقعة. قد يستمر التطبيع بين إسرائيل وبعض الدول العربية الآن دون قيود من وضع فلسطين ، على الرغم من أنه من غير المرجح أن يغير الوضع على الأرض أو الحركة الوطنية الفلسطينية. الاحتلال الإسرائيلي – والمقاومة الفلسطينية له – مستمر.

ومع ذلك ، فإن النموذج الجديد ليس ثابتًا. إذا زاد نطاق أو شدة أو تواتر قمع الفلسطينيين أو تصاعدت المواجهات بين الجيش الإسرائيلي وحماس أكثر ، فإن حملة التطبيع وواقع الاحتلال يمكن أن يتعارض ، مما يجعل التوازن الحالي غير مستدام. لا يزال من الممكن عكس خطوات العام الماضي نحو العلاقات الطبيعية.

ليست كل الدول العربية على متن الطائرة أيضًا. لا تزال علامة استفهام كبيرة معلقة على المملكة العربية السعودية ، التي قاومت حتى قبل ربيع هذا العام تحريض الحكومتين الإسرائيلية والأمريكية على الشروع في عملية التطبيع. حتى الآن يبدو أن نموذج "التطبيع رغم الاحتلال" غير مقبول لدى الرياض. وعلى الرغم من أن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن كانت داعمة للتطبيع ، إلا أنها لم تقدم نفس الحوافز التي قدمها سلفها. في حين حصلت الإمارات على طائرات مقاتلة متقدمة وحصل المغرب على الاعتراف بالأرض المتنازع عليها ، لا يمكن للحكومات العربية الأخرى أن تتوقع صفقات جذابة مماثلة مع واشنطن لتسهيل مشاركتها.

إن تحقيق علاقات طبيعية بين الدول هو بحد ذاته تطور إيجابي. ولكن في حالة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ، سيكون من الخطأ اعتبار التطبيع دواءً لكل داء. قد لا يكون للقضية الفلسطينية نفس الثقل في المنطقة الذي كانت عليه في السابق ، لكنها لم تحل.

ترجمة خاصة
private translation

على الرغم من التقدم الذي أحرزته إسرائيل في بناء علاقات مع بعض الدول العربية ، إلا أن الاحتلال يظل قضية قوية ومصدرًا لعدم الاستقرار. إن تجاوزها من خلال الدبلوماسية الإقليمية لن يجعلها تختفي.

خاص زوايا

ترجمة: طارق الشريف